

سورة انفطار الزمزم

سورة الانفطار مكية

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انثَرَتْ ﴿٢﴾.

﴿انفطرت﴾ انشقت.

وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾.

﴿فجرت﴾ فتح بعضها إلى بعض فاختلف العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحراً واحداً. وروي أن الأرض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية. وهو معنى التسجير عند الحسن. وقرئ: فجرت بالتخفيف. وقرأ مجاهد: فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ. نظراً إلى قوله تعالى: ﴿لا يبيغان﴾^(١) لأنّ البغي والفجور أخوان.

وَإِذَا الْفُجُورُ بُرِّرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾.

بدر وبحر بمعنى وهما مركبان من البعث والبعث مع راء مضمومة إليهما. والمعنى: بحثت وأخرج موتاهما. وقيل: لبراءة المبعثرة لأنها بعثت أسرار المنافقين.

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ ﴿٦﴾.

(٢) **فَإِن قُلْتَ:** ما معنى قوله: ﴿ما غرّبك بربك للكرم﴾؟ وكيف طابق الوصف بالكرم إنكار الاعتزاز به وإنما يغتر بالكرم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال له: ما لك لم تجبني؟ قال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك. فاستحسن جوابه وأعتقه^(٣). وقالوا: من كرم الرجل سوء ألب علمانه! **قُلْتُ:** معناه: أن حق الإنسان أن لا يغتر بتكره الله عليه حيث خلقه حياً لينفعه، ويتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعدما مكّنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغتراراً بالتفضل الأول، فإنه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله ﷺ لما تلاها: غرّه جهله^(٤). وقال عمر رضي الله عنه: غرّه حمقه وجهله. وقال الحسن: غرّه والله شيطانه الخبيث. أي: زين له المعاصي وقال له: افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أولاً وهو متفضل عليك آخرًا حتى ورطه. وقيل للفضيل بن عياض: إن أقامك الله يوم القيامة وقال لك: ما غرّبك بربك الكريم ماذا

تقول؟ قال: أقول غرّنتني ستورك المرخاة. وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاعتزاز بالستر، وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية. ويروون عن أئمتهم إنما قال: بربك الكريم، دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرّني كرم الكريم. وقرأ سعيد بن جبير: ما أغرّك، إما على التعجب وإما على الاستفهام. من قولك: غرّ الرجل فهو غارٌّ إذا غفل. من قولك: بيتهم العدو وهم غارون، وأغرّه غيره جعله غارًّا.

أَلَيْسَ خَلْقَكَ رَبِّكَ فَدَلَّكَ ﴿٧﴾.

﴿فسوك﴾ فجعلك سويًا سالم الأعضاء. ﴿فعدلك﴾ فصيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه، فلم يجعل إحدى اليدين أطول ولا إحدى العينين أوسع، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، ولا بعض الشعر فاحماً وبعضه أشقر. أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائماً لا كالبهائم. وقرئ: فعدلك بالتخفيف وفيه جهان: أحدهما أن يكون بمعنى المشدّد أي: عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت، والثاني فعدلك فصرفك. يقال: عدله عن الطريق. يعني: فعدلك عن خلقه غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق، أو فعدلك إلى بعض الأشكال والهيئات.

فِي أَيِّ سُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾.

ما في ﴿ما شاء﴾ مزيدة، أي: ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة والشبه ببعض الأقارب وخلاف الشبه.

فَإِن قُلْتَ: هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها؟ **قُلْتُ:** لأنها بيان لعدلك.

فَإِن قُلْتَ: بم يتعلق الجار؟ **قُلْتُ:** يجوز أن يتعلق بركبك على معنى: وضعك في بعض الصور ومكّنت فيه، وبمحذوف أي: ركبك حاصلاً في بعض الصور ومحلّه النصب على الحال إن علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون في أي معنى التعجب، أي: فعدلك في صورة عجيبة، ثم قال: ما شاء ركبك. أي: ركبك ما شاء من التراكيب. يعني: تركيباً حسناً.

كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾.

﴿كلا﴾ ارتدعوا عن الاعتزاز بكرم الله والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة إلى عكسهما الذي هو الكفر

(1) سورة الرحمن، الآية: 20.

(2) قال أحمد: حجة الزمخشري ههنا فارغة، فإن الآية إنما وردت في الكفار، بليل قوله: ﴿كلا بل تكذبون بالذين﴾ ونحن نوافق على خلودهم وانقطاع معانيرهم، لا على أن تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة، فإن الله لا يجب عليه شيء ويجوز عقلاً أن يثيب الكافر ويخلده في الجنة، وبالعكس في المؤمن، ولولا =

= ورود السمع بإثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير إليه، لكان ما نكرناه في الجواز والاحتمال، فإن الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

(3) لم يخرج الزميلي.

(4) ذكره الثعلبي، ورواه الواحدي في تفسيرهما، وأبو عبيدة في كتاب: فضائل القرآن، زميلي 167/4.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة المطففين مكية

وَبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾.

التطفيف: البخس في الكيل والوزن، لأن ما يخس شيء تطفيف حقير. وروي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلاً فنزلت. فأحسنوا الكيل⁽³⁾. وقيل: قدمها وبها رجل يعرف بابي جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر⁽⁴⁾. وقيل: كان أهل المدينة تجاراً يطففون، وكانت بياعاتهم المنازبة والملازمة والمخاطرة فنزلت. فخرج رسول الله ﷺ فقرأها عليهم⁽⁵⁾ وقال: خمس بخمس. قيل: يا رسول الله، وما خمس بخمس. قال: ما نقض قوم العهد إلا سلب الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر⁽⁶⁾، وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح. فقال له: أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت، كانه أمره بالتسوية أولاً ليعتادها ويفصل الواجب من النقل، وعن ابن عباس: إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم: المكيال، والميزان. وخص الأعاجم لأنهم يجمعون الكيل والوزن جميعاً وكانا مفترقين في الحرمين. كان أهل مكة يزنون، وأهل المدينة يكيلون، وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له: اتق الله وأوف الكيل فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمان حتى إن العرق ليلجمهم. وعن عكرمة: أشهد أن كل كيال ووزان في النار. فقيل له: إن ابنك كيال أو وزان. فقال: أشهد أنه في النار. وعن أبي رضي الله عنه: لا تلتمس الحوائج ممن رزقه في رؤوس المكايل والسن الموازين.

الَّذِينَ إِذَا أَكْمَلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾.

لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالياً يضرهم⁽⁷⁾ ويتحامل فيه عليهم أبدل على مكان من للدلالة على ذلك. ويجوز أن يتعلق على يستوفون ويقدم المفعول على الفعل لإفادة

والمعصية. ثم قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أصلاً وهو الجزء، أو دين الإسلام فلا تصدقون ثواباً ولا عقاباً وهو شر من الطمع المنكر.

وَلَا عَلَى كَيْفٍ لِحَوِيلِكُمْ ﴿٣﴾.

﴿وَأَنْ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ﴾ تحقيق لما يكتبون به من الجزء، يعني: أنكم تكتبون بالجزء.

كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿٤﴾ يَتْلُونَ مَا تَقُولُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ الْأَجْرَ لَئِي يَسِيرٍ ﴿٦﴾ وَلَئِنِ التَّمَّارُ لَئِي حَمِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْتَوْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٨﴾.

والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجاوزوا بها وفي تعظيم الكتابة بالثناء عليهم تعظيم لأمر الجزء وإنه عند الله من جلائل الأمور ولولا ذلك لما وكل بضبط ما يحاسب عليه ويجازي به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة، وفيه إنذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف للمؤمنين. وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال: ما أشدها من آية على الغافلين.

وَمَا تُمْ عَنَّا بِعَلِيٍّ ﴿٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١٠﴾ ثُمَّ مَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿١١﴾.

﴿وما هم عنها بغائبين﴾ كقوله: ﴿وما هم بخارجين منها﴾⁽¹⁾ ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك. يعني: في قبورهم. وقيل: أخبر الله في هذه الصورة أن لابن أم ثلاث حالات: حال الحياة التي يحفظ فيها عمله، وحال الآخرة التي يجازي فيها، وحال البرزخ. وهو قوله: ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ يعني: أن أمر يوم الدين بحيث لا تترك دراية دار كنهه في الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول في وصفه فقال:

يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ سَعِيًّا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٢﴾.

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ أي: لا تستطيع دفعاً عنها ولا نفعاً لها بوجه ولا أمر إلا لله وحده، من رفع فعلى البذل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك، ومن نصب فبإضمار يدانون لأن الدين يدل عليه أو بإضمار أنكرو ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في محل الرفع. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ إذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة» وبعد كل قبر حسنة⁽²⁾.

(7) قال لحمد: لا منافرة فيه، ولا يجعل هذا القائل الضمير دالاً على مباشرة ولا إشعاراً أيضاً فيه بذلك، إنما يكون نظم الكلام على هذا الوجه، إذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه، وإذا كان الكيل من جهتهم خاصة أحسروه، سواء بأشروه أو لا، وهذا أنظم كلاماً وأحسنه، والله أعلم. والذي يملك على أن الضمير لا يعطي مباشرة الفعل لأن أن تقول: الأمراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوق، لست تعني أنهم يباشرون ذلك بأنفسهم، وإنما معناه: أن فعل ذلك من جهتهم خاصة.

(1) سورة المائدة، الآية: 37.

(2) ذكره الثعلبي، وابن مروي، ورواه الواحدي في تفسيرهم، زيلعي 168/4.

(3) أخرجه ابن حبان في كتاب: البيوع (الحديث رقم: 4919)، وأخرجه الحاكم في المستدرک 33/2.

(4) رواه الواحدي في أسباب النزول، ص 25.

(5) قال الزيلعي غريب 172/4.

(6) أخرجه الحاكم في المستدرک 126/2.